

الفاعل الثقافي في ترجمة الخطاب النصوص القانونية

الدكتور: نورالدين دحمان

جامعة الشلف

الملخص:

إن ترجمة نصّ قانوني تفرض على من يترجمه حيازة ثقافة قانونية تؤهّله لفهم النصّ الأصل ابتداءً ثم التعامل مع ترجمته إلى النص الهدف بكل اقتدار انتهاءً. كما تفرض على القانوني الذي يلمس من نفسه القدرة على الترجمة الإلمام بأنماط النصوص و معاييرها و أنواعها و انزياحاتها و تصانيفها .. و غيرها من المفاهيم اللسانية (نصانية أو خطابية) و التي أضحت متداولة على أوسع نطاق، و قسّ على ذلك سائر أنواع المعرفة الإنسانية المتخصصة.

الكلمات المفتاحية:

الفاعل الثقافي - النص - القانون - الكفاءة النصية

Les mots cles : acte culturelle – le texte – le droit- la compétence textuelle

Le résumé :

La traduction des textes juridiques suscite des interrogations et des propositions d'ordre textuel et d'ordre juridique, et parfois d'ordre culturel.

Cela nous pousse à une tentative d'étudier ces textes juridiques dans une optique traductionnelle qui démontre l'intérêt d'une quête de sens dans le domaine juridique.

بينما تُقرّ النظرية النقدية المعاصرة على نسبية الدلالة "الأدبية" فإنّ نظرية الترجمة نفسها حينما تتفتح على هذه الإسهامات المعرفية الإنسانية تستطيع أن ترى في النص المترجم انعكاسا لذات الكاتب الأصلي من جهة؛ وانعكاسا لذات المترجم نفسه من جهة أخرى. هذه الذات التي تكوّنت عبر عمليات قراءة وفهم للموروثات الأدبية سعيا إلى امتلاك المهارة التي يستثمرها في إنتاج نص الترجمة.

يمكن ملاحظة أنّ ترجمات المترجمين أنفسهم تختلف زمانيا ومكانيا؛ والسبب وراء ذلك هو استقبال المترجم من محيطه من المعلومات و المعطيات التي تفرض عليه "فهما" جديدا يستجيب لحجم المعطيات الواردة إلى ذهن المترجم. فالمترجم الذي أقدم على ترجمة أدبية تصيب أو تخيب لو قُدّر له أن يُقدّم له نفس النص الأدبي لترجمته لاحقا بعد مدة لظهر اختلاف واضح في الترجمتين.

وهذا ما يؤكّد نسبية الدلالة الأدبية وخضوعها لسنن وأعراف متباينة عن تلك التي تشيع في بقية أنواع النص الأخرى. وهذا لا ينطبق إلّا على النص الأدبي؛ وذلك في الوقت الذي يُلاحظ أنّ دلالة أنواع النصوص الأخرى لا تستجيب لنفس هذا المنطق؛ بل يجب - في هذه الحالة - الملاحظة ما أمكن إلى ذلك سبيلا الإبقاء على ثبات الدلالة النصية في إطار النوع الذي ينتمي إليه هذا النص.

فلو أخذ مثال عن النص القانوني التالي الذي يستعمل فيه دلالة لفظة "الغبين" التي تدلّ أدبيا على: الإجحاف و الظلم والضرر؛ فسوف يلمس القارئ حجم التباين بين الاستعمالات المختلفة لدلالات هذه اللفظة.

"المادة 358: إذا بيع عقار بغبين يزيد عن الخمس فللبائع الحق في طلب تكملة الثمن إلى أربعة أخماس

ثمن المثل. ويجب لتقدير ما إذا كان الغبين يزيد عن الخمس أن يُفوّم العقار بحسب وقت البيع"⁽¹⁾.

« art 358 : lorsqu'un immeuble a été vendu avec lésion de plus d'un cinquième, le vendeur a une action en supplément de prix pour obliger

l'acheteur a parfaire les quatre-cinquièmes du prix normale. Pour savoir s'il y'a lésion de plus d'un cinquième, il faut estimer l'immeuble suivant sa valeur au moment de la vente »⁽²⁾.

يُلاحظ أنّ لفظة "غبين" "lésion" في هذا النصّ القانوني تدلّ دلالة مقصودة لذاتها لا تتعدّها تتعلّق ببيع العقارات بأثمان تزيد عن الخمس. وبالتالي فلا يمكن إخضاعها لأيّ تأويل يبعدها عن هذه الدلالة القانونية المقصودة؛ ما دامت ترتبط بالإطار القانوني الذي يحدد هذا الاستعمال في رحابها. وهذا في الوقت الذي يمكن فيه لهذه اللفظة أن تتباين دلالاتها بشكل يجعل من الدلالة المتداولة لللفظة "غبين" تنمهي إلى حد التلاشي في دلالات أخرى في رحاب النص الأدبي. وذلك حينما تدرج في ظلال نص أدبي يستعملها لأغراض تواصلية وفنية وجمالية؛ مثل قول الشاعر في هذا البيت التالي:

ولم أر مثل الفتيان في غبين الأيام ينسون ما عواقبها⁽³⁾

يتضح أنّ دلالة الوحدة المعجمية "غبين" تختلف استعمالاتها تبعاً لنوع النص الذي تدرج في إطاره. ويمكن لأيّ قارئ أن يلمس عدم قابلية لفظة "الغبين" للتأويل الدلالي في ظل النص القانوني الذي حدّد دلالاتها في إطارها القانوني.

بينما لفظة "غبين" في ظلال نص دلالي تكتسب دلالة تخرجها من مجال التحديد إلى مجال "التأويل"؛ أي يفتح المجال أمام القارئ ليمارس دوره في إعطاء الدلالة لهذه اللفظة تبعاً لأفقه الدلالي وتبعاً لوقعها لديه.

مثلاً لو أخذ هذا المثل الشائع في اللغة الإنجليزية:

"The last of the big spenders"

والذي يترجم حرفيا إلى: " إنه آخر المنفقين العظام" حيث يُلاحظ أنّ هذا التركيب اللغوي يقال

في مواقف التهكم والسخرية عن رجل يتسم بصفة البخل والشح.

مبذر - مسرف - منفق - Spender: [nm – depensier (gaspilleur)

بخيل - شحيح . Spender: [n mf – avare

Compound forms / formes composées وأما استعمالها في التركيب النحوي فيقال:

Be a spender: dépenser sans compter.

The last of the big spenders.

تُترجم إلى الفرنسية بالشكل التالي:

Le dernier des grands dépensiers.

ولكن مع هذا التجاور الذي يبدو أنّه بسيط ومألوف بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلا أنّ إيراد

هذا التركيب في المواقف الاجتماعية المختلفة يجعل التركيب اللغوي يعكس دلالة تداولية متعارف عليها

في ظل الثقافة الأصلية وهي الثقافة الإنجليزية وجنيسيتها الثقافة الأمريكية.

«Last of the big – time spenders: this play fully ironic C.P is applicable either

to one self, and it has nourished in U.K since 1945.In the u.k and the common

wealth, also of the big spenders, and in U.S and Canada great spenders»⁽⁴⁾.

"آخر المنفقين العظام: هذه العبارة المتداولة الساخرة تنطبق على شخص، وقد انتشرت في المملكة المتحدة

منذ 1945. وفيها وفي رابطة الكومنولث المنفقون العظام، وأما في كندا المنفقون الكبار".

يعكس هذا التركيب اللغوي صورة ساخرة عن رجل بخيل يرى نفسه قد أنفق الكثير وتجاوز حدّ الاعتدال إلى الإسراف، وربما يكون ما بذله شيئا هيّنا يسيرا؛ فلذلك يُساق هذا القول للتهكم والسخرية. يا ترى كيف يمكن نقل هذا التركيب للغة العربية؟

فاللغة العربية تشتهر باستعمال "أفعل" التفضيل للدلالة على مثل هذه المواقف فيقال: "أهدى من قطة وأكرم من حاتم"؛ ويقال أيضا: "أوفى من السموأل"؛ و"أخلف من عرقوب"؛ و"أبطأ من فند"؛ و"أبخل من مادر". ففي مثل هذه المواقف الاجتماعية المختلفة يُلاحظ تواردها لدى طائفة المخاطبين في إطار الثقافة العربية.

أمّا المثل الذي يرصد صفة البخل فمضربه الدلالة على رجل يتسم بصفتي البخل والشح؛ وهما صفتان وإن كانتا إنسانيتين لا يخلو منهما مجتمع من المجتمعات؛ إلا أن تكييف هذه الصفة هي ما يميّز هذا المجتمع عن ذلك ويجعل المترجم لا يقصد النقل الحرفي للصورة المجازية؛ وإنما يعمل على تكييفها وتطويعها أثناء الترجمة، فيفهم عن اللغة الأصلية صورتها المجازية ويسوق هذه الصورة المجازية في لغة الهدف بما يعرفونه وما يألّفونه والمترجم إذا لم يفعل ذلك فإنّ القارئ للنص المترجم يجد نفسه مجبرا على السعي وراء الصورة المجازية الأصلية والتي سيقّت له في إطارها الحرفي. ومجرد هذا الاستيقاف يحرم القارئ من مواصلة قراءة الأثر الأدبي أو يحرمه من الفهم الصحيح إن كان بصدد مطالعة ذلك في أي وسائط نقل ممكنة.

وآلية الفهم والتفسير هي عملية تأويلية في الترجمة تستند في شرعية وجودها إلى الغموض الذي يلفّ النصوص المترجمة حينما تقصي الجانب الثقافي من الترجمة وتعتمد على اللغة لوحدها في نقل هذه التراكيب اللغوية، وبهذا المسعى فإنّ نظرية الترجمة المعاصرة بانفتاحها على هذه التيارات اللسانية المعاصرة تجد في نظرية التأويل مستندا لإثبات مرونة نظرية الترجمة واستقبالها لهذه الإسهامات البحثية

التي لا تتناقض مع عمل الترجمة أصلاً؛ وإنما تعمل على إثرائه وإمداده بما يدفع البحث الترجمي نحو آفاق أرحب وأشمل.

إن إدراج "التأويل" في نظرية الترجمة المعاصرة يعرف إقبالاً من الباحثين لضبط آلياته ودراسة أسسه وميادينه حتى لا يكون مدعاة لنزعة ذاتية مفرطة تحرفه عن مقاصده؛ "لا تحمل كلمة "تأويل" أية دلالة تحقيرية، فالتأويل ذاتي، شأنه شأن كل فعل بشري، غير أنه موسوم بتحيزات" (5).

هذه التحيزات الذاتية التي تنطبق على كل من يقدم على الترجمة تجد تبريراً لها في إنسانية النشاط الترجمي ذاته. فالقائم بعمل الترجمة بشر تجري عليه سنن البشرية؛ لكن في رحاب العمل الأكاديمي يطلب من المترجم أن يتحلى بالموضوعية التي تؤهل عمله للقبول والاستحسان ببذل الجهد في إدراك الواقع اللغوي على ما هو عليه؛ وهذه الخصوصية من ذاتية وموضوعية تظهر بوضوح في عمل الترجمة كنشاط إنساني ضروري وهام:

«Every individual and unique act of translation is preceded by an individual and unique act of reception and interpretation. But at the same time both stages of the process are restricted by convention – linguistic, social historical. Thus the subjective combines with the objective to give a unique product» (6) .

"كلّ فعل للترجمة فردي ووحيد يسبق بفعل تلق و تأويل فردي ووحيد. غير أنّه وفي نفس الوقت كلاً من المرحلتين تتحدّدان بمواضع لسانية و اجتماعية وتاريخية. وبذلك يتشابك ما هو موضوعي و ما هو ذاتي لإعطاء منتج واحد".

غير أنّ صفة الذاتية في عملية التأويل تكون إيجابية ولكن عند المترجم الواعي والقادر على الفهم والاستنباط والذي يكون بحكم تكوينه وتدريبه ألف ثقافة النص المترجم وتمكّن من ثقافته؛ وبالتالي استطاع أن يجمع بين هذين القطبين المتجاذبين.

"فإنّنا نصّ وفهمه نشاطان ذاتيان إذ يساهم كلّ من يكتب وكلّ من يقرأ في هذا العمل برويته الخاصة للعالم والإحساس به وتجربته المعاشة بتحديد خاص، وجمع أفكار شخصية إلى غير ذلك" (7).

لكنّ هذه الذاتية في عملية "التأويل" تستند هي الأخرى إلى ثقافة المترجم ومعرفته حول النصّ المترجم بكلّ ملبساته وأبعاده ومقاماته وأحواله؛ وبالتالي فهذه الذاتية منضبطة بالثقافة التي يكونها المترجم عن النصّ الذي يريد ترجمته فليس كلّ مترجم قادر على الترجمة وعلى الوصول بها إلى درجة من الجودة والإتقان.

فإذا كان النصّ يحتوي على لغة وعلى أحداث وعلى دلالة متضمّنة في النصّ ففي هذه الحالة تجتمع ثلاث خبرات هي: "خبرة لغوية" و"خبرة تاريخية" و"خبرة نصية"؛ وهذه الأبعاد الثلاثة تجتمع في ذهن المترجم وهو بصدد محاولة فكّ شفرة النصّ المترجم وهي التي تحدّد اتجاه فهمه للنصّ.

"في الترجمة نتموضع في المستوى الثالث وهو مستوى الكفاءة النصية إذ يكسب المترجم المهارة الكلامية شأن كل إنسان، ويفضلها يتحصّل على كفاءة في لغته الأمّ ولغة أخرى وبالأحرى في عدة لغات أخرى إنّه يترجم وهو يستعمل كفاءته النصية" (8).

ومادام أنّ النموذج "التأويلي" في الترجمة يعترف بالكفاءة النصية فهو يؤكد أنّ نظرية الترجمة المعاصرة أصبحت تسير التطور في ميدان اللسانيات الذي يشهد اتجاه البحوث نحو لسانيات النصّ والتي أرسّت دعائم الكفاءة النصية والمعايير النصية وغيرها من المفاهيم الجديدة التي لا تقتصر على

اللغة لوحدها وإنما تدرج عناصر فعّالة في الخطاب تجتمع كلّها لتحقيق فعل التخاطب وتيسير سبل التواصل بين بني الإنسان.

- الكفاءة النصية في عملية الترجمة

- ¹- القانون المدني الجزائري: الجزائر، الديوان الوطني للأشغال التربوية ، 1991، ص 63.
- ²-Code civil algérien : Algérie, Office national des travaux éducatifs, 1991, P 63 bis.
- ³- عدي بن زيد العبادي: الديوان، تحقيق محمد جبار المعبيد، بغداد، شركة دار الجمهورية للنشر و الطبع، ط1، 1965، ص45.
- ⁴-Eric Partridge: A dictionary of catch phrases, USA, Ed Paul Beale, 1986, P281.
- ⁵- مريان لو ديرار: م س، ترفايزة القاسم، ص107.
- ⁶-Elzbieta Tabakowska: Op cit, p73.
- ⁷- مريان لو ديرار: م ن، ترفايزة القاسم، ص107.
- ⁸- مريان لو ديرار: م ن، ص109.